ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

اميركا والشرق الاوسط .. وحروب الإستنزاف على أساس هوياتي

حسام مطر

" الشرق الأوسط" هو الإقليم الأكثر فوضوية في العالم، تسكنه الصراعات الأطول عمراً، تتنافس فيه بعنف كل القوى الدولية، تنتشر فيه أقوى المنظمات العسكرية، تتناثر داخله الدول الفاشلة والضعيفة، تتحرك على أرضه أشد القوى ظلامية (الكيان "الإسرائيلي" والتكفيريون)، تحكمه أوقح النخب التابعة للمركز الرأسمالي، تغلي فيه "الهويات القاتلة"، تهبط فيه مؤشرات التنمية البشرية الى أدنى مستوياتها، تغيب عنه أطر التعاون الإقليمي، وتتفجر عيون النفط فيه فلا تظمأ الحروب والمذابح.

اميركا، حرب استنزاف

كل هذا لا يجري في فراغ، بل إما كجزء من سياسات الإدارة الإمبريالية للمنطقة، وإما كناتج غير مباشر لهذه السياسات، وإما كناتج لتراكمات تاريخية لم تنجح قوى المنطقة بتجاوزها. المنطقة حالياً تدور في حلقة فارغة من العنف المتنامي، حالة ستدوم لسنوات مقبلة على أقل تقدير. الوقود البشري، الإقتصادي، والثقافي لهذا العنف متواجد بوفرة.

بعكس ما يبدو للوهلة الأولى، لا يقاتل "المتطرفون" لأجل السماء ولا حور العين فقط، هناك حافز دنيوي أساس هو السعي للمجد، للدور، للعظمة ولإثبات الذات بوجه الآخر. الالاف من الشباب العرب الملتحقين بحركات "التطرف" يكتمون مشاعر عارمة بالتهميش والذل والمهانة بفعل ثلاثي الإستبداد - الهيمنة - التطرف الديني. الأخطر أن هذه المشاعر لا تختص "بالذات" بل "بالهوية"، أي أنهم يستشعرون أن هويتهم بكل ما تحويه من "مقدس وجليل" هي المهمشة والمهانة، ولذا حين يتمرد هؤلاء بهذا الشكل "المتوحش" فإنما يحرصون على إبراز هويتهم وخصوصياتها أولاً.

هكذا يمكن أن نفهم حركة الإستقطاب في "داعش"، هي تعدهم قبل الجنة والحور العين، تعدهم بإقامة "الخلافة"، التي يستدلون بها على رفعة هويتهم وعزة عقائدهم وفعالية وجودهم.

كل إنجاز ميداني سيرفع من هذه المشاعر

ويشتد الإستقطاب، والعكس صحيح، ولذا يتجه تيار من الباحثين الى القول أن الأهم حالياً في مواجهة "داعش" هي القوة الصلبة وليس الناعمة، يجب كسر الهيبة أولاً. وفقاً لذلك تدرك قيادة "داعش" خطورة الفشل العسكري في كوباني، لا سيما مع وفرة صور المقاتلات الكرديات. بكل الإحوال هذا الوقود البشري - الشبابي في العالم العربي سيغذي نار الحروب الإقليمية لسنوات مقبلة قبل أن ينفذ أو يبدأ بالبحث عن مسارات أكثر عقلانية.

من ناحية الإمبريالية الأميركية، فهي بحاجة الى عملية "إستنزاف مقنن" لمحور المقاومة من خلال الفوضى في المشرق العربي. في المدى المنظور، سيبقى الأميركي يدير المنطقة ضمن مبدأ "القيادة من الخلف" رغم محدودية أثره في إعادة الهيمنة الأميركية لما كانت عليه، ولذا يجري تعبئة الوقت بمعارك إشغال واستنزاف مذهبي بالوكالة، ثم يخرج الأميركيون - بايدن وبريجينسكي مثلاً - بوقاحة للقول: "إنها مسؤولية حلفائنا فقط".

عام ٢٠١١، قال وزير الحرب الأميركي روبرت غيتس: "أي وزير "دفاع" مقبل ينصح الرئيس بإرسال قوات برية الى آسيا أو الشرق الأوسط أو أفريقيا، يجب أن يخضع لفحص لقواه العقلية".

في ذروة الهيمنة، كانت أميركا تسعى لإستقرار المنطقة ضمن بنية هرمية تنظم العلاقات الإقليمية وفق منظورها، أما حين تتضعضع الهيمنة تسعى أميركا لمنع خصومها من إشغال الفراغ من خلال محاصرتهم بالتوازن الإقليمي.

الإشكالية هنا هي أيضاً في حلفاء واشنطن، أو نواطيرها بتعبير أدق. لم تجد هذه القوى في ظل تعذر إستخدام القوة الصلبة بشكل مباشر بوجه محور المقاومة إلا أن تعمل على إستدعاء مكونات الهويات الضيقة وإثارتها بدعاوى المظلومية وتسييلها عنفاً عبر تحوير المقدس، مما أشعل موجة حروب "هوياتية" في المنطقة، وهي أشد أنواع الحروب وأكثرها إستعصاءً على التسوية. لكن عملية "تشظي" الهوية أصبحت غير قابلة للضبط فإنقلب الصراع الى داخل المحور الإستراتيجي الواحد بين السعودية وتركيا أو الوهابية والإخوان مما زاد من تعقيدات المشهد.

في كل إقليم تجد حلفاء لواشنطن يتولون موازنة خصومها، اليابان وكوريا الجنوبية بوجه الصين، الإتحاد الأوروبي بوجه روسيا، إلا أن هذه الدول عقلانية تخضع للمحاسبة والضغوط الداخلية بما يضبط تبعيتها لواشنطن. أما في حالة الشرق الأوسط، حلفاء واشنطن يمتلكون موارد مالية هائلة بفعل النفط ومتحررون من الضغط الداخلي بفعل الإستبداد، ما يجعل تبعيتهم عمياء وقادرة على توظيف مئات المليارات وقدر غير محدود من العنف لخدمة واشنطن، بما يطرح تحدياً إضافياً بوجه محور المقاومة.

لم تستنزف القوى الإقليمية في المنطقة بعد، كلها تعتقد أنها ما زالت قادرة على تحقيق مكسب ما، أو إلحاق هزيمة ما بوجه غريمها. لم تحن بعد اللحظة التي تصبح فيها المواجهة الإقليمية القائمة غير مجدية لطرفين على الأقل داخل المثلث الإيراني - السعودي - التركي. يبدو التركي بالتحديد الأكثر إندفاعاً والأبعد عن منطق التسوية لا سيما في سوريا. يبدو الإنهاك ضرورة لإعادة كثيرين نحو التعقل، لحينها على محور المقاومة بناء إستراتيجية مضادة لحروب "الإستنزاف على أساس هوياتي" والتحلي بالصبر الإستراتيجي وتعبئة كل موارد قوته، هنا بالتحديد يجب التأكيد على ضرورة صعود العراق في لعبة توازن القوى الإقليمي، بإعتباره الأقل إستفادةً من موارد قوته المعتبرة.

السعودية؛ فرضية الانهيار

ناهض حتر

يرجع الدكتور فوزي منصور، في كتابه "خروج العرب من التاريخ"، سلسلة الأحداث التي أدت إلى تشكل "قطب الرجعية العربية"، المملكة العربية السعودية، إلى ثلاثة أحداث تاريخية مفصلية، أولها، في القرن السابع الميلادي، يتمثل في انتقال عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق، ما أدى إلى تهميش جزيرة العرب، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، في ظل استمرار النزيف السكاني منها إلى الشام والعراق وبلاد الامبراطورية العربية الأخرى، حتى تحوّل قلبها إلى فراغ متروك استعاد النمط القبلي البدائي لما قبل "الجاهلية"، واستمر حتى القرن العشرين؛

وثانيها، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حين أحكمت بريطانيا سيطرتها على المنافذ البحرية للجزيرة، ومشيخاتها المحلية، ما أدى إلى كبح ما بقي من حيوية اقتصادية واجتماعية وسياسية على السواحل، والانكفاء إلى الداخل، حيث تعايشت قرى زراعية في الواحات في فضاء بدوي. هنا، في قرية العيينة في نجد، وبتأثير الاختناق الاقتصادي والتهميش السياسي والعزلة الطويلة عن التطور الثقافي والحضاري في العالم العربي الإسلامي، نشأت الوهابية، فأصبحت السلاح الايديولوجي للقوة القبلية الطموحة لآل سعود، وثالثها ظهور الثروة النفطية في دولة كهذه.

الوهابية ليست مذهباً إسلامياً، وإنما نزعة دينية محلية غير مثقفة، منبتة الصلة بما عرفه الفكر الإسلامي من انجازات على مدى قرون؛ ورغم ادعائها العودة إلى القرآن والسنة، فإنها تظل بعيدة عن حيوية الوحي والرسالة بأبعادها التاريخية، ومحكومة، بسبب بيئتها، للضحالة الفكرية وأولوية الشكليات والتعصب الأعمى وتسويغ العنف، مما كان يلائم طموح السعوديين للتوسع والسيطرة في رحاب الجزيرة العربية، وإنما في الحدود التي رسمها الانكليز لمحمياتهم الساحلية؛ الخرق الوحيد لتلك الحدود حدث في الحجاز التي كان حاكمها، الحسين بن علي، متطلباً على المستوى الإقليمي (على خلفية تحالفه مع بريطانيا في الثورة العربية الكبرى) وفاشلاً في تنظيم الإدارة المحلية.

لكن الحجاز كان متطوراً نسبياً ومختلفاً عن نجد؛ إذ حافظ على صلة أكبر بالعالم العربي والإسلامي، بسبب الحج، كما بسبب الميناء. وبقي، لدى الحجازيين، على مرّ العقود، منذ ١٩٢٥، ذلك الشعور الممض بخضوعهم لاحتلال نجدي. سعودي، بينما ظلّ الهاشميون يراودهم الأمل بالعودة؛ سنة ١٩٩٠، حين بدا أن الرئيس صدام حسين قد خلخل، باحتلاله الكويت، النظام الإقليمي، بادر الملك حسين، إلى إعلان نفسه "شريفاً"، لقب حاكم مكة الهاشمي.

الآن، نعيش مرحلة تخلخل وتصدّع في النظام الإقليمي، طويل المدى؛ وسنرى أن أي فوضى أمنية. سياسية في السعودية، ستطلق دينامية حجازية استقلالية. وقد بدأت بالحجاز لأنها خارج التداول في نقاشات النزعات الانفصالية عن المملكة؛ فالتهديد الأول الممكن يأتي من جهة اليمن التي اغتصب آل سعود منها، عام ١٩٣٤، بالحرب، نجران (الاسماعيلية) وجيزان وعسير (الزيديتين). وهي مناطق لم تبرح وجدان اليمنيين، حتى علي عبدالله صالح، لم يجرؤ، قبل سنة ٢٠٠٠، على الاعتراف بالحدود مع السعودية. وعلى كل حال، فإن الخزّان البشري اليمني المضغوط في أزمة اقتصادية خانقة، مهيأ للانفجار باتجاه السعودية، على الرغم من جدار الفصل العنصري الذي تقيمه على الحدود. ولا ننسى، هنا، أن مليونيّ يمني كانت السعودية قد طردتهم منها، بسبب وقوف صنعاء مع صدام حسين في أزمة الكويت، يبيّتون ثأر العودة.

في اليمن، يعاد، الآن، تشكيل اللوحة السياسية من خلال قوة الحوثيين الصاعدة. والنهوض اليمني سيفيد من أي تخلخل أمني في المملكة، لاسترداد الأراضي اليمنية المحتلة من قبل آل سعود.

يعيش حوالي أربعة ملايين من الشيعة الاثني عشرية في المنطقة الشرقية من المملكة، القطيف والإحساء. المتصلة مع نجران وعسير وجازان. ويواجه هؤلاء سياسات الرياض الاستبدادية المذهبية، والتهميش السياسي والحرمان التنموي مع أن معظم الثروة النفطية تقبع في أراضيهم. ولطالما كان شرق الجزيرة منفصلا عن داخلها، ولا يربط بينهما رابط حضاري أو ثقافي منذ أقدم الأزمنة حتى الحاقه قسرا بالسعودية؛ إنه جزء من البحرين الكبرى، موئل حضارة دلمون. وهي حضارة رافدانية لا جزيرية.

نجد التي كانت منطلق آل سعود، هي أيضاً موضع نزاع عميق مع قبيلة شمّر التي أطاح السعوديون إمارتهم. وحكامها آل الرشيد. العام ١٩٢١، أما تبوك والجوف، فهما جزء من حضارة البتراء وامتداد للبادية الأردنية. وقد اضطرت عمان للتنازل عن وادي السرحان والقريات للسعوديين للكفّ عن مطالبها التوسعية في العقبة ومعان.

هذه التركيبة المعقدة تشبه مرجلاً يسده نظام أمني قمعي مسنود بالرعاية الأميركية، وشمولية وهابية مسيطرة على الفضاء التربوي والثقافي. الأخيرة هي، بالضبط، ثقافة "داعش" التي تؤيدها أغلبية سنية في المملكة، ومنحتها الكثير من المال والرجال؛ وتمثل المملكة، في الواقع، البيئة الأكثر خصوبة للدواعش الذين يحفرون قبر آل سعود بالمعول الأيديولوجي نفسه الذي ساعد على قمع مناطق الجزيرة، والاستيلاء على ثرواتها واضطهاد شعبها، وخصوصا "الأغيار" مذهبياً.

أخطر ما ستفعله "داعش" في السعودية، أنها ستكسر الغطاء عن المرجل.

جون ماكين المنسق العام بين داعش واسرائيل

حسين الديراني

بات من المسلمات، ولم تعد من المفاجئات أن يطل علينا مسؤولاً سياسياً امركياً يصرح ويعترف في تورط الادارة الامريكية في دعم وتسليح " داعش ".

بعد إعترافات نائب الرئيس الامريكي جو بايدن الاخيرة التي أقر بها بأن حلفاء امريكا الخليجيين وتركيا أفرطوا في دعم الجماعات التكفيرية الارهابية المسلحة في سوريا والذين كان لا هم لهم سوى إسقاط نظام الرئيس السوري بشار الاسد، وجميع الاسلحة التي قدمت للمعارضة السورية المسلحة وقعت بأيدي " داعش " و " جبهة النصرة " الموضوعتان على لائحة الارهاب الامريكية، مما إضطره لتقديم الاعتذار من تركيا والامارات والسعودية وقطر بعد فضحهم بالاسماء بسبب حاجته الملحة للتعاون في ما بات يعرف " بالحرب على داعش ".

يطل علينا اليوم وبكل وقاحة السيناتور الامريكي " جون ماكين " في لقاء متلفز، أجاب على سؤال حول علاقته ب " داعش " رد قائلاً " أتكلم معهم دائماً وإذا أردنا ان ندير الحرب كما تشاؤون ستتحول الحرب الى فيتنام ثانية وتهزم امريكا شر هزيمة "، وعندما واجهه مقدم البرنامج ما قاله زميل له بأن الاسلحة تصل الى " داعش والنصرة " رد قائلاً " وهل إجتمع معهم؟ فأنا أعرف هؤلاء وعلى تواصل دائم معهم ".

بعد هذا الاعتراف الصريح يتضح صحة المعلومات السابقة التي أشارت الى لقاء " جون ماكين " مع خليفة " دولة داعش " ابو بكر البغدادي في سوريا، وإذا كان التواصل يومياً فمن الطبيعي أن يكون في مأمن من الضربات الجوية الصورية.

لقد بات المشهد واضحا وضوح الشمس، ان السيناتور الامريكي المشهور بتطرفه وعداءه الشديد لسوريا وايران وحزب الله ودعواته المتكررة الى شن عدوان على الجمهورية الاسلامية الايرانية والقضاء على النظام السوري وحزب الله، وولاءه المطلق للكيان الصهيوني، والذي دعى في وقت سابق لهدم الكعبة الشريفة والمسجد الاقصى بات الرابط والمنسق العام بين تنظيم " داعش والنصرة " الارهابيتين ودولة " اسرائيل " الارهابية، وهذا ما يفسر التعاون الوثيق بين دولة إسرائيل الصهيونية والجماعات المسلحة الارهابية من داعش والنصرة وبقية المنظمات المسلحة على الحدود بين سوريا والكيان الصهيوني، فمن إستقبال جرحى الارهابيين وعلاجهم في مستشفيات ميدانية داخل الكيان الصهيوني الى تقديم السلاح والتدريب والمعلومات العسكرية والاستخباراتية وصولا الى إعتراف الجماعات الارهابية بدولة " إسرائيل " اليهودية وتقديم الجولان ثمناً لدعمها لهم وإعتزافهم بالقدس عاصمة " لاسرائيل " يؤكد لنا دور ماكين في إدارة العلاقات الداعشية الاسرائيلية.

هذا الدور الامريكي لا يخفى على عيون الجبهة الاخرى المعنية في الصراع، فالجمهورية الاسلامية الايرانية كشفت هذا الدور وجاء على لسان قائد الثورة الاسلامية الامام السيد علي الخامنئي " ان مجموع هذه التنظيمات المتطرفة من أمثال " داعش " ما هي إلا صناعة أمريكية - صهيونية ".

كذلك أدرك مسبقاً هذا التعاون الداعشي الاسرائيلي الخطير الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله مما دفعه لان يقوم بنفسه الى زيارة خطوط المواجهة بين حزب الله و "جبهة النصرة وداعش" على الحدود اللبنانية السورية رغم الوضع الامني الحذر حيث يهدد الارهابيون بأجتياح البقاع اللبناني والقضاء على الحاضنة الشعبية لحزب الله والتي تعد كامل المنطقة وإستباحتها وقتل إهلها وتشريدهم والتهديد بالوصول الى العاصمة بيروت وصولا الى الجنوب اللبناني، وهذا ما أكد عليه في خطاب سابق بأنه لو أضطر الامر لان يقوم بنفسه لمحاربة التكفيريين والقضاء عليهم لما تردد، ومما أكد عليه سماحته امام المقاتلين المدافعين عن قرى البقاع ان النصر حليفهم والحرب ستطول لسنين والمواجهة تتطلب تضحيات وصبر للقضاء على هذا التهديد الجدي، ووعد بمفاجئات أعدها للتكفيريين والاسرائيليين على حد سواء، كما وعد المجاهدين بالنصر مجددا، فالشعب الذي هزم إسرائيل في حرب تموز ٢٠٠٦ كفيل بهزيمة رديفها " داعش والنصرة " اللذين باتوا اليد الاسرائيلية الضاربة، وكلما تلقت النصرة وداعش ضربات مؤلمة من حزب الله والجيش العربي السوري تبدو أثارها على الوجه الوقح للسيناتور الصهيوني " جون ماكين " في أطلالاته الاعلامية.

حركة النهضة بين الواقع والطموح

قيادي بالنهضة يتهم اليسار بتهديد مستقبل تونس

ميلاد عمر المزوغي

تربعت على عرش تونس عقب أحداث شهدتها مع بعض الدول، كانت اقل دموية تبعا للإمكانيات المتواضعة للأطراف المتصارعة وللحقيقة فان بورقيبة استطاع أن يبني تونس ويجعلها دولة مؤسسات،سنوات حكمه المديد لم تكن ديمقراطية بالمعنى العام ولكنها كانت أفضل من غيرها، قوانين تحصين الثورة أبعدت الكثير من كوادر الحزب الحاكم عن مراكز اتخاذ القرار وكانت المطاردات لهؤلاء جد محدودة.

النهضة لم تسلم السلطة إلى حكومة توافق وطني طواعية، بل أدركت أن شعبيتها آخذة في التناقص ،انتفضت القوى الحية في تونس إضافة إلى الاتحاد العام التونسي للشغل الذي يمثل شرائح واسعة من المجتمع التونسي،الحركة تتصرف بواقعية (براغماتية)، أبعدت المتشددين من أعضائها عن الأضواء لكسب الرأي العام،فقد أدركت أن الإخوان في العالم أصبحوا غير مرحب بهم، وبالتالي فان مستقبلهم رهن بما يقدمونه من تضحيات لأجل البقاء سياسيا وتلميع صورتهم التي شوهها مرسي وزبانيته في مصر فكانت الضربة القاضية والإتيان بالعسكر من جديد.

يبدو أن قوانين تحصين الثورة لم تؤتي أكلها المرجو ،فالعديد من أركان النظام السابق ومنهم أصحاب الأيادي غير البيضاء ،اخذوا في العودة إلى ارض الوطن، ليس للعيش ومراقبة ما يحدث بل المساهمة في الحياة السياسية من جديد، فقد أعلن العديد منهم الترشح للانتخابات الرئاسية.

الانتخابات النيابية على الأبواب، وعن طريقها يتحدد حجم القوى السياسية، خاصة وان النظام التونسي المستقبلي سيكون برلمانيا، أي أن رئيس الجمهورية ستكون صلاحياته محدودة إن لم نقل سيكون مجرد ديكور ،ولعل وضع رئيس الجمهورية الحالي خير دليل، يقولون عنه بأنه يحمي الدستور ،فعن أي دستور يتكلمون؟ أي قيمة لدستور لا تكون نصوصه مستوحاة من تعاليم الرب، أي قيمة لدستور إن لم يلزم المرأة بالتحجب، المذيعات والمنشطات في القنوات الوطنية يخرجن علينا بكامل زينتهن، ليس لبعولتهن، بل للعامة وبترخيص رسمي، يقول رسول الإسلام محمد "ص": "ونساء كاسيات عاريات ميلات مائلات رءوسهن كأسنمة

البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"، أي دستور لا يلزم الدولة بقفل أماكن العهر والمجون و . . . ،يقول الرب عز وجل: "وَإن خفتم عَيلَةً فَسَوفَ يغنيكم اللّه من فَضله إن شَاءَ إنَّ اللّهَ عَليمٌ حَكيمٌ"،سيكون الرئيس العتيد كأقرانه في كل من لبنان (بدون رئيس) والعراق"الرئيس بقي طريح الفراش أكثر من سنة ولم يتم تغييره" سيكون شاهد زور، وكفى . !

تدرك النهضة أن صورتها قد اهتزت لدى المواطن التونسي، فلم تحقق له أي من المطالب التي كان يتوق إلى تحقيقها فالجانب الأمني لا يزال يشكل الهاجس الأكبر،كما أن تعامل النهضة مع العناصر غير "المنضبطة" لم يرق الشارع التونسي، ما سيؤثر سلبا على شعبية الحركة.

النهضة، أضحت الوريث الشرعي لجماعة الإخوان بعد أن أصبح قادتهم مطاردون في مصر ، منبوذون من كل الشعوب العربية،إخوان النهضة في ليبيا لم يدخروا جهدا في سبيل البقاء في السلطة، لم يعترفوا بالبرلمان المنتخب ويخوضون حربا ضروسا بحق الشعب الذي اعتقد يوما أنهم سيكونون عونا له في اجتياز المصاعب،فإذا بهم المصيبة الأكبر والجريمة التي لا تغتفر التي ارتكبها الشعب في حق نفسه.

اعتقد انه من الصعوبة بمكان بأن تلمع النهضة صورتها للشعب التونسي، فالأحزاب الدينية مقبرة الديمقراطية وحرية الرأي، الشعب التونسي محتار في الاختيار بين حكام الأمس، الطواغيت المفسدين وبين حكام اليوم الذين يعملون كل شيء باسم الدين والدين منهم براء ،كي يسكتوا الأصوات التي تطالب بالديمقراطية، الشعب والنهضة كليهما في مفترق الطرق، كل منهما يخشى الآخر ، النهضة في وضع جد حرج وترغب في مواصلة التسلط، وتخشى أن يلفظها الشعب، والشعب يخشى من أن تصبح تونس دولة اخوانية بامتياز تتحكم بمقدراته وتفقد علاقاتها مع دول الجوار التي اكتوت بنيران الإخوان، فهل يتقبل الشعب التونسي النهضة بكل مآسيها؟ ، أم يعيد انتخاب من يعتقد أنهم خيرة النظام السابق ؟الأمر ليس سهلا .